



ندوة

الزراعة ومستقبل الاقتصاد المصري

الثنين: ٢١ رجب ١٤٢٢هـ الموافق ٨ أكتوبر ٢٠٠١م

قراءات جديدة فى التشريعات الإسلامية

عن أهمية الزراعة

د. رفعت السيد العوضى

أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد

كلية التجارة - جامعة الأزهر

قراءات جديدة في التشريعات الإسلامية عن أهمية الزراعة

د. رفعت السيد العوضى(*)

تمهيد:

هذه الورقة عن أهمية الزراعة، وحديث عن أهمية الزراعة غالبا ما يصنف على أنه فكرة تقليدية عملت عليها الكثير من البحوث وألفت جمهرة المشتركين في المؤتمرات سماعها بحيث يمكن عدم الوقوف عندها، أو على الأقل يكون الوقت المخصص للحديث عنها فترة راحة من عناء متابعة عميقة، وقد يوظف هذا الوقت لزيادة التعارف بين المستمعين بإجراء حوارات بينية ذات طبيعة اجتماعية طلبا للراحة من عناء الانشغال بالأفكار العلمية. كاتب هذه السطور يرى أن موضوع أهمية الزراعة في الإسلام قابل لأن تكون فيه أفكار علمية عميقة، أي محمل بأفكار علمية عميقة، وهو بهذا الفهم أو هذا التكييف قد يكون موضوعا جديرا بالاهتمام والاستماع إليه. علماؤنا الأجلاء قديما وحديثا لهم قراءاتهم لسبر غور تشريعات الإسلام لاكتشاف عللها وحكمها ونقنطى بهؤلاء الأعلام حتى وإن اتهمنا بالسلفية التي طورت إلى الأصولية ثم تحورت إلى الماضية وأخيراً استسخوها إرهاباً. نقنطى بهؤلاء الأعلام لتقديم جديد عن أهمية الزراعة في

(*) أستاذ ورئيس قسم الاقتصاد - كلية التجارة - جامعة الأزهر

الإسلام يضاف إلى ما قدموه فنبنى ناطحات سحاب لفكر عملاق قادر على مقاومة إرهاب العولمة.

فى هذه الورقة ذات الصفحات القليلة جداً نقدم قراءة لبعض تشريعات الإسلام بحيث توظف هذه القراءة -و فقط- لاكتشاف عناصر جديدة فى موضوع أهمية الزراعة فى الإسلام. والأهميات التى سنقولها -إن قبلت- يمكن أن تضاف إلى التراكم المعرفى لأمتنا الإسلامية.

تشريعات الإسلام التى نرشحها لإعادة القراءة هى التشريعات التالية:

١- إحياء الأرض الموات

٢- الحمى

٣- عقود المعاملات للقطاع الزراعى

٤- الإقطاع

٥- زكاة الزروع والثمار

فى كل تشريع من هذه التشريعات نعمل أن نكتشف عنصراً فى موضوع أهمية الزراعة فى الإسلام بحيث تكون المساهمة التى تعطيها ورقتنا عن أهمية الزراعة فى الإسلام هى مجموع عناصر الأهمية التى اكتشفناها.

أولاً: عنصر فى أهمية الزراعة من قراءة جديدة لفقه إحياء الأرض الموات: إحياء الأرض الموات تشريع إسلامى عمر أرض أمتنا عندما طبق فى الماضى، ومعقود له اللواء لتعمير زرعنا فى وقتنا الحالى (هذا أمر يجب) القراءة الجديدة لفقه هذا التشريع تكشف عن أن اهتمام الإسلام بالقطاع

الزراعى يحمله أنه جعل مكافأة من يحيى الأرض الموات ويجعلها صالحة للإنتاج فإن له أن يمتلك هذه الأرض ملكية صحيحة كاملة. هذه أكبر مكافأة بل هذا أكبر حافز لإحياء أرضنا وتعمير زرعنا. تشريع إحياء الأرض الموات فى فقهه ما يضيف جديدا إلى أهمية الزراعة فى الإسلام، تناقش فقهاؤنا الأجلاء حول ما إذا كان إحياء الأرض الموات يلزم له إذن ولى الأمر أم لا. عند الحديث عن هذا الموضوع فإنه تلزم الإشارة وجوباً إلى أن الإسلام يضبط علاقة الأفراد مع السلطة ضبطاً راقياً يحقق الفعالية الكاملة للمجتمع، وحوارات فقهاؤنا عن إذن ولى الأمر لإحياء الأرض أو عدم إذنه لا تقترب من قريب أو بعيد بموضوع ضبط العلاقة بين الفرد والسلطة فى المجتمع ولكننا ذكرنا هذا الموضوع لأن قراءتنا له جعلتنا نراه يحمل عنصراً فى موضوع أهمية الزراعة فى الإسلام. أهمية الزراعة فى الإسلام جعلت بعض فقهاؤنا يرى أن إحياء الأرض الموات وهو السبيل لإعمار الزراعة تبلغ درجة أهميته وضرورته أنه لا يحتاج إلى إذا ولى الأمر.

ثانياً: عنصر فى أهمية الزراعة من قراءة جديدة لفقه الحمى

الحمى من تشريعات الإسلام العاملة على الأرض وعلى مصادر الثروة الطبيعية وبالتالى فهو تشريع زراعى إذا جاز استخدام هذا التعبير. لأجل أن نقرب معنى الحمى يمكن القول عنه إنه قطاع عام فى المجال الزراعى، وندعو الله سبحانه ألا يكون هذا التعبير يحمل إخلالاً بالحمى كما يكيفه الفقه.

قراءتنا الجديدة لتشريع الحمى جعلتنا نراه يحمل عنصراً يعمل على أهمية الزراعة فى الإسلام، تشريع الإسلام لقطاع عام فى المجال الزراعى

بمعناه الواسع هو تعبير عن أهمية الزراعة، لقد رأى الإسلام أن أهمية هذا القطاع تصل فى درجتها إلى حد ألا يترك للقطاع الخاص وحده يعمل عليه بحافزه الفردى وإنما شرع أن يشارك معه القطاع العام يرشده ويضبطه مع إيقاع المصلحة العامة للمجتمع تقدما واستقرارا وتوازنا.

ثالثا: عنصر فى أهمية الزراعة من قراءة جديدة لفقهاء عقود المعاملات للقطاع الزراعى

للقطاع الزراعى عقود الفقهية التى منها الإجارة والمزارعة والمساقاة، وهى عقود لها تميزها الفقهى كمجموعة ولها تميزها الفقهى كفرادى. وقراءتنا الجديدة لهذه العقود أهدت إلى عنصر وقد تكون عناصر عن أهمية الزراعة فى الإسلام، مجئ التشريع بمجموعة من العقود العاملة على القطاع الزراعى يحمل رسالة عن أهمية هذا القطاع، وهى رسالة قوية فى وضوحها ودلالاتها. مجئ التشريع بمجموعة من العقود العاملة على القطاع الزراعى جعل الفقه الاقتصادى يقدم حلا متلائما مع التغيرات المرتبطة بالزمان وبالمكان وبطبيعة الاقتصاد، وهذا تعبير عن الأهمية أو تقديم حل للأهمية أو توجيه للأهمية.

المشتغلون بالفقه يعرفون بوجود حوارات حول جواز المزارعة أو جواز الإجارة. هذا الحوار الفقهى حمل آراء تعبر عن درجة أهمية القطاع الزراعى، الذين أجازوا حملت آراؤهم أهمية اقتصادية لهذا القطاع والذين منعوا حملت أيضا آراؤهم أهمية اقتصادية له.

رابعاً: عنصر في أهمية الزراعة من قراءة جديدة لفقه الإقطاع

الحديث عن الإقطاع ملغوم بحساسية فكرية، ونشهد بأن هذه الحساسية الانفجارية هي نبت للإقطاع الظلامي (نسبة إلى عصور الظلام التي عرفت أوروباً مع الإقطاع). الإقطاع الذي شرعه الإسلام يمثل منارة تنقشع بها ومنها ظلمات يمكن أن تجثم على القطاع الزراعي، ومع انقشاع الظلام ينقشع معه الظلم.

فقه الإقطاع يؤسس لسياسة زراعية تصلح الأرض وتصلح التقدم الاقتصادي وتصلح الوثام الاجتماعي. فقه الإقطاع يجعله بريئاً ومبرراً من ظلمات وظلمات تطبيقات خاطئة وقعت في فترات تخلف ولالة الأمر المسلمين لانحرافهم عن الإسلام.

فقه الإقطاع يشع عناصر عن أهمية الأرض والزراعة. بالإقطاع يستكمل الإسلام فقهه الواسع على القطاع الزراعي الذي يعمل فيه إحياء الأرض الموات بدور الحافز الخاص فيه، ويعمل فيه الحمى بدور الدولة فيه، ويعمل فيه الإقطاع بازواجية متناغمة متناسقة بين الدولة والفرد.

خامساً: عنصر في أهمية الزراعة من قراءة جديدة لفقه زكاة الزروع والثمار

الزكاة ركن الإسلام الركين الذي يرتكن عليه البناء التكافلي للمجتمع المسلم. في الواحات الكثيرة الوافرة الظلال في فقه الزكاة نجد واحة زكاة الزروع والثمار. قراءتنا الجديدة لفقه هذه الواحة يكشف عن عنصر في أهمية الزراعة وهي أهمية جديدة تكمل وتتكامل مع الأهمية التي يوليها الإسلام للزراعة. فقه الزكاة ينتصر للرأي القائل: في كل ما أخرجت الأرض زكاة.

هذا الانتصار يشع أهمية تكافلية على المجتمع المسلم وهذا نوع من الأهمية سبق به الإسلام ويشهد التاريخ أنه لم يلحق.

هذه قراءات جديدة لتشريعات إسلامية وظفناها فى اكتشاف عناصر عن أهمية الزراعة فى الإسلام، وندعو الله سبحانه وتعالى أن تكون جديدة كما زعمنا وأن نكون قد وفقنا.

والله من وراء القصد
وهو الهادى إلى سواء السبيل